المحاضرة الأولى:1/1

مدخل عام لمفهوم التأويل

يحتل التأويل كموضوع موقعا هاما في الدراسات الفلسفية عامة واللغوية على وجه الخصوص، وقد عرف تناوله تطورا واختلافا من الناحية المنهجية والمعرفية حسب التطور الزمني والإختلاف الفكري.

معنى التأويل:

المعنى اللغوي:

يضع ابن منظور مصطلح التأويل تحت مادة "أول" أو "الأول" وهو الرجوع ‹‹: آل الشيء يؤول أولا ومآلا، رجع وأول إليه الشيء، رجعه، وألت عن الشيء: ارتددت. وفي الحديث الشريف:" من صام الدهر فلا صام ولا آل." أي لا رجع إلى الخير. والأول الرجوع، وقيل أول الكلام وتأويله دبره وقدره، وهو تفعيل من أول يؤول تأويلا.››

وجاء في القرآن الكريم: "يوم يأتي تأويله " أي يوم تكشف عاقبته. هذا هو المعنى اللغوي للتأويل. فالفكر الإسلامي يتعامل التأويل مع النص القرآني انطلاقا من تلك الآيات المحكمات والمتشابهات التي ولدت الاختلاف بين المفسرين والفرق الكلامية. حيث ورد في سورة ل عمران الية 7 قوله تعالى":... هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات" وهنا نجد القاعدة التي عليها يتأسس التأويل قضية المحكم والمتشابه ونؤكد هنا أن التأويل بدايته اقتصر على النص الديني مثل التوراة والإنجيل.

المعنى اصطلاحا:

أن النص هو المفهوم المركزي للحضارة بصفة عامة، وبذلك يصبح التأويل هو الوجه الآخر للنص. نجد عدة اتجاهات وتيارات فكرية حاولت تقديم مفهوم دقيق للتأويل، فكان لكل تير وجهة نظر مخالفة لنظيره ففي الفكر العربي الإسلامي نلمس عند المعتزلة أن التأويل يختلف عنه عند الأشاعرة أو أهل السنة، حيث لم يكن الموقف من التأويل يتصف بالإيجاب في جميع أبعاده؛ طبقا لقوله تعالى :" ...فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ...ابتغاء تأويله وما يتعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون

آمنا به كل من عند ربنا وما يذّكر إلا أولوا الألباب..." ويعرفه الجرجاني في كتابه التعريفات بقوله: ".. التأويل في الأصل الترجيع وفي الشرع صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله، إذا كان المحتمل الذي يراه موافقا بالكتاب والسنة ".

وبذلك ينظر إلى التأويل عند علماء اللاهوت على أنه تفسير النص والكتب المقدسة تفسيراً رمزياً أو مجازياً يكشف عن معانيها الباطنة. أما عند ابن رشد: " **هو إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية من غير أن يخلّ في ذلك بعادة لسان العرب في التجوز من تسمية الشيء بشبيهه أو سببه أو لاحقه أو مقارنه أو غير ذلك من الأشياء التي عددت في تعريف أصناف الكلام المجازي**".

فالتأويل إذن من هذا المنظور هو استخراج المعاني الخفية الواردة في الكتب المقد. وهو تقريبا نفس الموقف الذي يذهب إليه **(اندريه لالاند)**، حيث يعرفه بأنه "الترجمة لمعاني الكتابات الخفية"، أما التأويل عند (ليبنتز) –كما يدرجه لالاند–مرادف للإستقراء وهو "البحث عن علل الأشياء من أجل الوصول إلى العلة الأولى، أي الله، وما يسميه الفيلسوف استقراء يسميه اللاهوتي تأويلا، والغرض من خلالهما هو معرفة الباطن."

نلمس أن أغلب هذه التعريفات تتمظهر في قالب واحد وهو ارتباطها بالدين.